

Interpretation According to Context

Raad Abdullah Fayyadh
Al-Salam University College, Baghdad, Iraq
raaddhima@gmail.com

KEYWORDS: Interpretation, Imperative, Context, Judgment, Vocabulary.



<https://doi.org/10.51345/v32i2.388.g216>

ABSTRACT:

Standing and thinking about the context of the verse or verses and linking to reach a knowledge of what is meant by them, between them and them, studying and that studying the Qur'an in its truth is one of the meanings of contemplating the verses of the Noble Qur'an through the context of the verse and the context of the passage, and that it is separate from it, whether in the same Surah or other, and falls under it. There are also two types of Qur'anic types: the context of the surah and the context of the Qur'an. The impact of this research is evident to us as this study can be applied to all interpretations, even if the study is generalized to the rest of the vocabulary, Interpretation of the Qur'an will facilitate, as the topic plan marked: (Interpretation according to the context) was to be divided into three sections. In the first section I spoke about the meaning of the Qur'anic context and context, and in the second topic I explained the meaning of contextual judgment and the overall meanings, and in the third topic I showed the importance of interpretation by context. Through the different meanings of the word "q d a", then the conclusion was included in it the most important results of the research.

التفسير بمقتضى السياق

م.د. رعد عبد الله فريض

كلية السلام الجامعة، بغداد، العراق

raaddhma@gmail.com

الكلمات المفتاحية: التفسير، المقتضى، السياق، الحكم، المفردة.



<https://doi.org/10.51345/v32i2.388.g216>

ملخص البحث:

الوقوف على معانٍ معاين القرآن من خلال التدبر والتفكير، ولا شيء أفعع للعبد في معاشه ومعاده من تدبر القرآن، وحقيقة التدبر هي إمعان النظر والتفكير في سياق الآية أو الآيات والربط بينها للوصول إلى معرفة المراد منها، وبالتالي يفتح العمل بها، وأن دراسة السياق القرآني في حقيقته هو أحد معانٍ تدبر آيات القرآن الكريم من خلال سياق الآية وسياق المقطع، وأن يكون منفصلاً عنه سواء في نفس السورة أو غيرها، ويدخل تحته نوعين أيضاً من أنواع السياق القرآني: سياق السورة وسياق القرآن، وتتجلى لنا أهمية هذا البحث حيث يمكن تطبيق هذه الدراسة على كل التفاسير، ولو عُمِّمت الدراسة على باقي المفردات، فسيسهل تفسير القرآن، حيث كانت خطة الموضوع الموسوم بـ: (التفسير بمقتضى السياق) أن يُفْسَم على ثلاثة مباحث، تكلمت في البحث الأول عن معنى السياق والسياق القرآني، وفي البحث الثاني، بينت معنى حكمية السياق والمعنى الكلية، وفي البحث الثالث، بينت أهمية التفسير بالسياق من خلال اختلاف معانٍ مفردة (ق ض ئ)، ثم الخاتمة وقد أدرجت فيها أهم نتائج البحث.

المقدمة:

إن دراسة السياق القرآني في حقيقته هو المعنى الآخر لمعنى تدبر للقرآن، ولقد سلك العلماء طرقاً في تفسير كلام الله عز وجل أحسنها: تفسير القرآن بالقرآن نفسه، ولتفسير القرآن بالقرآن مرتبان أعلاهما: أن يكون في محل واحد؛ لأن يكون عقبه، وهذه المرتبة يدخل تحتها نوعين من أنواع السياق: أولاً: سياق الآية وسياق المقطع.

ثانياً: أن يكون منفصلاً عنه سواء في نفس السورة أو غيرها، ويدخل تحته نوعان أيضاً من أنواع السياق القرآني: سياق السورة وسياق القرآن.

ومنه يمكن أن نقول بأن السياق القرآني أصلٌ من أصول التفسير المعتبرة، بل من أهمها. لذا كان سبب اختيار الموضوع (التفسير بمقتضى السياق) لأن للسياق أثراً بارزاً في ترجيح المحتملات، وبيان المحمّلات، وفي تنفيح التفسير من الدخيل والأسرائيليات، ودفع ما يتواهم أنه تعارض بين الآيات.

واقتضى الموضوع أن يُقسم على ثلاثة مباحث، تكلمت في البحث الأول عن معنى السياق والسياق القرآني، وفي البحث الثاني بينت معنى حكمية السياق والمعنى الكلية، وفي البحث الثالث بينت أهمية التفسير بالسياق من خلال اختلاف معانٍ مفردة (ق ض ئ).

المبحث الأول: السياق القرآني

المطلب الأول تعريف السياق لغة واصطلاحاً

السياق لغةً، أصله سِوَاق، فَقُلْبَتُ الْوَأْوَاءِ لِكَسْرَةِ السِّينِ، وَهُمَا مَصْدَرَانِ مِنْ سَاقَ يَسْوُقُ.⁽¹⁾ ويأتي بمعانٍ عديدة، منها: النوع: فيقال رأيت فلاناً يسوق سُوقاً أي يتنزّع نَزْعاً عند الموت. التأخر في المشي، وفي صفتة (كَلَّا) «كان يسوق أصحابه»⁽²⁾ أي يُقدمُهم ويُمْشِي خلفهم تواضعاً. المهر: فيقال للمهر سُوق لأن العرب كانوا إذا تزوجوا ساقوا الإبل والغنم مهراً لأنها كانت الغالب على أموالهم.⁽³⁾

السرد: ومن المحاز: هُوَ "يسوق الحديثَ أَحْسَن" سياق، وإليك يُساقُ الحديثُ، وكلام مساقه إلى كذا، وجنتك بالحديث على سُوقه، على سرده.⁽⁴⁾ فيلاحظ أنَّ أغلب هذه التعريفات والاستعمالات تدور على معنى: التتابع والتولى والجمع والاتصال والتسلسل.

واصطلاحاً: مثلما اختلف اللغويون في معنى السياق اختلف أهل الاصطلاح، ومن ذلك: سياق الكلام: تابعه، وأسلوبه الذي يجري عليه.⁽⁵⁾ دلالة السياق هي: "فهم النص بمراجعة ما قبله وما بعده".

ودلالة السياق في التفسير: " بأنها بيان اللفظ أو الجملة في الآية بما لا يخرجها عن السابق واللاحق إلا بدليل صحيح يحب التسليم له"⁽⁶⁾.

أو هو: "تابع المعانٍ وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"⁽⁷⁾.

وعرف بعضهم السياق القرآني بأنه: "ما يحيط بالنص من عوامل داخلية أو خارجية لها أثر في فهمه: من سابق أو لاحق به، أو حال المحاطب، والمحاطب، والغرض الذي سيق له، والجو الذي نزل فيه"⁽⁸⁾. من خلال ما تقدّم يمكن تعريف السياق بأنه: تتابع المفردات والجمل والتراكيب المتربطة لأداء المعنى. وعليه يكون السياق القرآني: تتابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المتربطة لأداء المعنى.⁽⁹⁾

المطلب الثاني: أهمية السياق القرآني في التفسير

لكون اللغة العربية وافرة بالمفردات، فقلما تجد معنى إلا وله عدة مفردات، وكلّ مفردة تصف حالة من حالات ذلك المعنى، فمن أسماء الأسد حِيدَرٌ وبه سُميَ الرجل الشجاع، ومنها العَوْفُ، وقد تَعُوفَ بالليل التَّمَسَ الفَرِيسَةَ وعَوَافَةُ الْأَسَدِ مَا يَتَعَوَّفُهُ بِاللَّيلِ فِي كُلِّهِ وَالْعَوَافَةُ مَا ظَفَرَتْ بِهِ لَيْلًا وَالْعَرْفَاسُ، والعَرْفَنُسُ الْأَسَدُ الشَّدِيدُ الْعُنْقُ الْغَلِيظُهُ،⁽¹⁰⁾ فلا بدّ -والحال هذه- إذا ما أردنا معرفة المفردة أن ننظر في سياق الجملة التي أدرجت فيها.

وعليه فلدلالة السياق القرآني الأهمية البالغة في تفسير كلامه سبحانه، فإذا ما أهملت فإنّ الزلل والخطأ واقعٌ لا محالة، وما أعظم الخطأ في تفسير القرآن. وتتصبح أهمية دلالة السياق القرآني في ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: دلالة السياق عند تفسير القرآن بالقرآن.

وهي من أصح طرق التفسير، فلا أحد أعلم بمعاني الكلام من المتكلم نفسه، فإذا تبيّن المراد لا يجوز أن نعدل إلى غيره.⁽¹¹⁾ فالأخذ بمقتضى السياق مهم في تفسير القرآن؛ لأنه نزل بلغة العرب وهم أفعص الناس، والنبي ﷺ أفصحهم، مثال ذلك:

عن عائشة، زوج النبي ﷺ قال: سألتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتُوا وَلَا يُؤْتُونَ وَلَهُمْ وَحْلَةٌ﴾ (المؤمنون: 60) قالَتْ عائشة: أهُمُ الَّذِينَ يَشْرِبُونَ الْخَمْرَ وَيَسْرُقُونَ؟ قَالَ: لَا يَا بَنْتَ الصَّدِيقِ، وَلَكُنْهُمُ الَّذِينَ يَصْوِمُونَ وَيَصْلُوْنَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ ﴿أَوْلَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ (المؤمنون: 61)⁽¹²⁾.

وجه الدلالة: أنّ النبي ﷺ استدل على معنى الآية بدلالة السياق، ففسر السياق باللاحق.

الوجه الثاني: أهمية السياق في توضيح القصص، ومن ذلك:

ما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا أَبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَآمَارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَأَمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (يوسف: 53) فالأكثر أنه من كلام امرأة العزيز فهي تعذر أنّ دين النفس هو الأمر بالسوء، إلا من عصم الله. وهو القول الأشهر والألبيق بسياق القصة ومعاني الكلام، وهو ما رجحه القرطبي وابن كثير والشعلي في تفاسيرهم.⁽¹³⁾

إلا أنّ من المفسرين من قالوا إنّه من كلام يوسف (الكتاب) وهو المفهوم من قوله: ﴿هَذِهِ لَيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ﴾ مع زوجته ﴿بِالْغَيْبِ﴾، أي؛ إنما ردّت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخْنُهُ﴾ بالرُّبِّي ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْحَايَنِينَ، وَمَا أَبْرَى نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَآمَارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁽¹⁴⁾.

الوجه الثالث: أهمية السياق في التشريع

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿الطلاق مرتان فاما ساك معروف او تسریح بایحسان ولایحل لكم أن تاخذوا مما آتیتموهن شيئاً إلأى أن يخافاً لآیقیما حدود الله فان خفتم لآیقیما حدود الله فلا جناح عليهم فيما افتدا به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاوكلك هم الظالمون﴾ (البقرة: 229)، ظاهر هذه الآية أن الطلاق كله منحصر في المرتين، لكن الحق -جل وعلا- بين أن المنحصر في مرتب الطلاق هو الذي يملك الرجل بعده الرجعة، لا مطلقاً، فقد ذكر في الآية التي تليها التعليل الثالثة، فقال تعالى: ﴿فإن طلقها فلَا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ (البقرة: 230)، فلا تحل له بعدها.⁽¹⁵⁾ سياق التكرار لفهم المعنى، وهو ما يستدلّ من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحَضِّرُونَ﴾ (الصفات: 158) ذكر الإمام الطبرى الخلاف في معنى الإحضار هل المراد به الإحضار للعذاب، أو لمشاهدة الحساب؟ ثم قال: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال إنهم لم يحضرون العذاب؛ لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عنى به الإحضار في العذاب، فكذلك هذا الموضع"⁽¹⁶⁾.

فاستدل (رحمه الله) على معنى الإحضار من خلال سياق السورة وتكراره في آياتها، يشار إلى أن الإحضار ورد مرتين في هذه السورة: الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةٌ رَّبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحَضَّرِينَ﴾ (الصفات: 57)، والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿فَكَذَبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحَضِّرُونَ﴾ (الصفات: 127)، وكلاهما بمعنى الإحضار للعذاب، فكان هذا الموضع في معناهما.

المبحث الثاني: حكمية السياق والمعاني الكلية

المطلب الأول: حكمية السياق

بما أن القرآن نزل بلغة العرب، فلا سبيل لفهمه إلا بمعرفة دلالات الألفاظ العربية، وهذه وحدتها لا تكفي لكي تحكم بصحة المعنى، لأن المفردة في لغة العرب قد تحتمل أكثر من معنى- كما بيانا- فلابد من معرفة سياق الآية لمعنى المفردة وما ترمي إليه، فالسياق يحدد، المعنى الحقيقي للمفردة، وإليه أشار الشافعى (رحمه الله) بالقول: "إنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانهم على ما تعرف من معانيها"⁽¹⁷⁾.

وبيّن الإمام الطبرى (رحمه الله) حكمية السياق في بيان المعنى فيقول: "غير حائز صرف الكلام عمّا هو في سياقه إلى غيره إلا بحجّة يجب التسليم لها من دلالة ظاهر التزيل، أو خبر عن الرسول ﷺ تقوم به حجة، فاما الدعاوى فلا تعدّ على أحد"⁽¹⁸⁾.

وقال ابن تيمية (رحمه الله) مفصلاً في تقريره لهذه القاعدة، فبين أنّ أكثر ما وقع فيه الخطأ في التفسير من جهة الاستدلال يرجع إلى سببين:

"أحدهما: قوم اعتقدوا معاني، ثم أرادوا حمل ألفاظ القرآن عليها.

والثاني: قوم فسّروا القرآن بمفرد ما يسوعن أن يريده من كان من الناطقين بلغة العرب بكلامه، من غير نظر إلى المتكلّم بالقرآن، والمتردّ عليه، والمخاطب به.

فالأولون: رأوا المعنى الذي رأوه من غير نظر إلى ما تستحقه ألفاظ القرآن من الدلالة والبيان.

والآخرون: رأوا مجرد اللفظ، وما يجوز أن يريد به عندهم العربي من غير نظر إلى ما يصلح للمتكلّم، وسياق الكلام"⁽¹⁹⁾.

فيتبيّن من كلامه إرجاعه سبب الغلط إلى أمرتين:

الأول: إهمال دلالات الألفاظ العربية.

والثاني: إهمال دلالة السياق وقرائن الأحوال.

ويؤكّد على أهمية دلالة السياق، وعدم كفاية دلالة اللفظ فيقول: "إن الدلالة في كل موضع بحسب سياقه، وما يجفّ به من القرائن اللغوية والحالية"⁽²⁰⁾.

وقد عدّ هذا أصلًا عظيماً مهماً نافعًا في باب فهم الكتاب والسنة فقال: "بل يُنظر في كل آيةٍ وحدى ث بخصوصه وسياقه، وما يبيّن معناه من القرائن والدلالات، فهذا أصلٌ عظيم مهمٌ نافعٌ في باب فهم الكتاب والسنة، والاستدلال بما مطلقا"⁽²¹⁾.

ومن هنا يتضح لنا أنّ كلّ تفسيرٍ أهملت فيه دلالاتُ الألفاظ، أو يأبه السياق فهو باطل.

ومن أمثلة ذلك إهمال دلالات الألفاظ حيث جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنِىٰ وَأَقْنَى﴾ (النجم:

4)، قال ابن كثير: "وقيل: معناه: أَغْنَى نَفْسَهُ وَأَفْقَرَ الْحَائِقَ إِلَيْهِ، قَالَهُ الْحَضْرَمِيُّ بْنُ لَاحِقٍ.

وقيل: ﴿أَغْنَى﴾ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ وَ﴿وَأَقْنَى﴾: أَفْقَرَ مَنْ شَاءَ مِنْهُمْ، قَالَهُ ابْنُ زِيدٍ. حَكَاهُمَا ابْنُ جَرِيرٍ وَهُمَا بَعِيدَانِ مِنْ حَيْثُ الْفَظُّ"⁽²²⁾.

فاستبعد (رحمه الله) هذين القولين؛ لأنّ دلالة لفظ "أقنى" لا تخدمها، فهما فسّراها بالفقر، وليس من معانيها الفقر، بل قيل فيها قولان حكاهما الزجاج:

أحدهما: أقنى يعني أرضي.

وثانيها: جعل له قُيّة: أي جعل الغنى أصلًا لصاحبته ثابتًا⁽²³⁾.

ومن هنا فهما بعيدان عن اللفظ.

وفي قوله تعالى: ﴿وَاتَّى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ (البقرة: 177)، ذكر أبو حيان الخلاف بين المفسرين في عودة الضمير على المال أو مؤني المال فقال: "على حبه متعلق بـ—(أي) وهو حال، والمعنى: أنه يعطي المال محبًا له، أي: في حال محنته للمال واحتياره وإيثاره" وأضاف: "وقيل: الفاعل المؤتون، أي حبه لهم له واحتياجهم إليه وفاقتهم، وإلى الأول ذهب ابن عباس، أي: أعطى المال في حال صحته ومحنته له فاثر به غيره، فقول ابن الفضل: أنه أعاده على المصدر المفهوم من آتى، أي: على حبه الآيات، بعيد من حيث اللفظ، ومن حيث المعنى، أما من حيث اللفظ فإنه يعود على غير مصرح به، وعلى أحد من المال، وأما المعنى فلأن من فعل شيئاً وهو يحب أن يفعله لا يكاد يمدح على ذلك، لأن في فعله ذلك هو نفسه ومرادها"⁽²⁴⁾.

المطلب الثاني: المعانى الكلية

تعنى بالمعانى الكلية: هو ما يرد في القرآن الكريم من ألفاظ يغلب استعمالها على معنى واحد، وهو ما يسمى ببعض العلماء به (كلمات الألفاظ).

يقول ابن القيم: "للقرآن عرفٌ خاص، ومعانٍ معهودة، لا يناسبه تفسيره بغيرها، ولا يجوز تفسيره بغير عرفة والمعهود من معانيه، فإنّ نسبة معانيه إلى المعانى كتبية الألفاظ إلى الألفاظ، بل أعظم، فكما أنّ ألفاظه ملوك الألفاظ وأجلّها وأفضلها، ولها من الفصاححة أعلى مراتبها التي تعجز عنها قدر العالمين، فكذلك معانيه أجمل المعانى وأعظمها وأفحشها، فلا يجوز تفسيره بغيرها من المعانى التي لا تليق به، بل غيرها أعظم منها وأجمل وأفحش، فلا يجوز حمله على المعانى القاصرة بمجرد الاحتمال النحوى الإعراوى، فتدبر هذه القاعدة، ولتكن منك على بال، فإنك تتمنع بها في معرفة ضعف كثير من أقوال المفسرين وزيفها، ونقطع أنها ليست مراد المتكلم تعالى بكلمة"⁽²⁵⁾.

ويقول الإمام الشنقيطي (رحمه الله): "ومن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب المبارك: الاستدلال على أحد المعانى الداخلة في معنى الآية يكونه هو الغالب في القرآن، فعليه فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية".

ويقول الطاهر بن عاشور: "فلا جرم كان رائد المفسر في ذلك— أي البيان أن يعرف على الإجمال مقاصد القرآن مما جاء لأجله، ويعرف اصطلاحه في إطلاق الألفاظ، وللتزيل اصطلاح وعادات"⁽²⁶⁾. فلا يجوز أن نطلق على أحد المعانى بأنه من كليات القرآن إلا بعد استقراء للقرآن الكريم، فإذا كان هنا المعنى مطرد وغير منخرم كان الاطراد مرجحاً عند الاختلاف؛ لأن الاستقراء التام حجة، وإذا كان هنا

المعنى الكلى منخرم بأمثلة قليلة، فإنه حينئذ يبين المفسر هذه الأمثلة، ويكون الحكم أغلبي، ويمكن الاستفادة منه في الترجيح.⁽²⁷⁾

ولنضرب مثلاً لتقرير المعنى، ففي قوله تعالى: ﴿لَا غَلِيلٌ أَنَا وَرَسُولٌ﴾ (المجادلة: 21)، فقد قال بعض العلماء: إنّ المراد بهذه الغلبة بالحجة والبيان، والغالب في القرآن هو استعمال الغلبة في الغلبة بالسيف والسنان، وذلك دليلاً واضحًا على دخول تلك الغلبة في الآية؛ لأنّ خير ما يبين به القرآن هو القرآن، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلْيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا سُتُّغْلِبُونَ...﴾ (آل عمران: 12)، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلُ أَوْ يُغْلَبُ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ النساء: 74، وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٍ يَعْلَمُوْا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَعْلَمُوْا أَلْفَيْنِ يَأْذِنُ اللَّهُ﴾ (آل عمران: 66)، وغيرها كثير من الآيات يدور معناها حول غلبة السيف.⁽²⁸⁾

وعلى هذا المنوال:⁽²⁹⁾

قول ابن عباس (رضي الله عنهما): "كلُّ شيءٍ في القرآن زجر فهو عذاب"⁽³⁰⁾.

وقول مجاهد (رحمه الله): "كلُّ ظنٍ في القرآن فهو علم"⁽³¹⁾.

وقول سفيان بن عيينة (رحمه الله): "ما سُمِّيَ اللَّهُ مطْرَأً فِي الْقُرْآنِ إِلَّا عَذَابًا"⁽³²⁾.

وقول ابن فارس (رحمه الله): "ما في القرآن من ذكر البعل فهو الزوج كقوله تعالى: ﴿وَعُولَتْهُنَّ أَحَقُّ بِرَدْهُنَّ﴾ (البقرة: 228) إلا حرفاً واحداً في الصافات: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ (الصافات: 125) فإنه أراد صنماً"⁽³³⁾.

المبحث الثالث: السياق يحدد معنى المفردة ذات المعاني الكثيرة

واحدة من فضائل القرآن الجمة أنه حفظ لنا لغتنا العربية، وإلا كانت ضاعت في خضم هذا السهل الجارف من اللغات واللهجات التي دخلت في هذا الدين، وهذه الفضيلة بحد ذاتها معجزة عظيمة؛ لأن المفردة الواحدة ترد في القرآن الكريم معانٍ كثيرة والتي يحدد معناها في كل مرة سياق الآية التي وردت فيها أو الآيات. واحتارت مفردة واحدة كمثال لهذا النوع من الإعجاز، وهي مفردة (قضى).

ورد لمفردة "قضى" بحسب وجودها في سياق الآيات سبعة وعشرين موضعًا، استخلصت منها سبعة عشرَ معنىًّا مختلفاً متفق عليه في لغة العرب، ومن تلك المعاني: حكم، وفرغ، ووصى، ومات، وأمر.. الخ.

1- المعنى الأول والثاني والثالث: قضى. معنى "حكم" "صنع" "انتهى"

ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ (طه: 72) ولها معنيان كلاهما مقبول: أحدهما: فاصل ما أنت صانع. والثاني: فاحكم ما أنت حاكم.⁽³⁴⁾ ومن قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ سَيَّتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسْمَى لَقُضَى بَيْنَهُمْ﴾ (الشورى: 14)، أي: قطع بينهم في الحكم.⁽³⁵⁾ وأجمل ابن فارس فقال: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾، أي اصنع واحكم⁽³⁶⁾.

ولم يتوقف الإعجاز عند هذا، بل في نفس الآية ورد معنى آخر لكلمة (قضى) فقال تعالى: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ليقول المفسرون ﴿تقضي﴾ بمعنى تنقضي وتذهب هذه الحياة الدنيا وهي كيف كانت فانية وإنما مطلبنا سعادة الآخرة وهي باقية، والعقل يقتضي تحمل الضرر الفاني المتوصل به إلى السعادة الباقية.⁽³⁷⁾

2- المعنى الرابع والخامس والسادس: قضى بمعنى "أمر"، "وصى"، "أوجب".

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء: 23)، يقول المفسرون ﴿وَقَضَى رَبُّكَ﴾ لها ثلاثة معانٍ:

أمر، قاله ابن عباس والحسن، وقال الواحدى والرازى: "معناه: أمر، إلا أنه أمر قاطع حتم"⁽³⁸⁾، وبه حصر المعنى الإمام ابن العربي.⁽³⁹⁾

وصى، قاله ابن مسعود وأبي بن كعب.⁽⁴⁰⁾
أوجب، قاله الريبع بن أنس.⁽⁴¹⁾

3- المعنى السابع: قضى بمعنى "أعلم"

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (الإسراء: 4)، فكلمة ﴿وَقَضَيْنَا﴾ هنا بمعنى "أعلمنا، أي أعلمناهم إعلاماً قاطعاً".⁽⁴²⁾

4- المعنى الثامن: قضى بمعنى "خلق"

ومنه قول الله تعالى: ﴿فَقَصَاهُنْ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (فصلت: 12)، أي: خلقهن وعملهن وصنعنـ.⁽⁴³⁾

5- المعنى التاسع: قضى بمعنى "قدر"

ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (البقرة: 117)، أي: قدره وأراد خلقه، وتأويليه: إذا قضى أمراً فإنما يكونه فيكون، والقول قد يرد ولا يراد به النطق والكلام؛ لأن المعدوم الذي ليس بكائن لا يخاطب⁽⁴⁴⁾.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّزَنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (الأعراف: 8).

6- المعنى العاشر والحادي عشر: قضى بمعنى "فرغ"، "أداء"

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ (الجمعة: 10)، فإذا قضيت الصلاة أي فرغ منها. وهو الأنسب لسياق السورة، وبه قال أكثر المفسرين.⁽⁴⁵⁾

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَنَاسِكُكُم﴾ (البقرة: 200)، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم الصَّلَاةَ﴾ (النساء: 103).

وقال الماوردي: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ يعني أدبت.⁽⁴⁶⁾ ويلاحظ هنا أنَّ الأمر للندب؛ لأنَّه يقول: هذا الأمر ليس بفرضية، إنما هو أدب ورحمة من الله، فإن كتب فحسن، وإن لم يكتب فلا بأس.⁽⁴⁷⁾

7- المعنى الثاني عشر: قضى بمعنى "قتل"

ومنه قوله تعالى: ﴿فَوَكَرَهَ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ (القصص: 15)، قال المفسرون: فقضى عليه أي قتله وفرغ من أمره، وكل شيء فرغت منه فقد قضيته.⁽⁴⁸⁾

8- المعنى الثالث عشر: قضى بمعنى "انتهى"

ومنه قوله تعالى: ﴿فُضِيَ الْأُمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْفِتِيَانٍ﴾ (يوسف: 41)، وقوله تعالى: ﴿وُقُضِيَ الْأُمْرُ وَأَسْتَوْتُ عَلَى الْجُودِي﴾ (هود: 44).

9- المعنى الرابع عشر والخامس عشر: قضى بمعنى "استقر"، و"تم"

ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأُمْرُ﴾ (إبراهيم: 22)، قال الواحدي: "إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، اجتمع أهل النار باللائمة على إبليس لعنه الله"⁽⁴⁹⁾.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَنْدِرُهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأُمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (مريم: 39).

الخاتمة:

كان موضوع بحثنا حول التفسير بمقتضى السياق واهتمام المفسرين بتفسير المفردة بحسب موقعها من الآية وسياق الآيات، وقد تبيّن لي ما يأتي:

- اختلف اللغويون في معنى السياق ولكن جميع معانيه تدور حول التتابع والتواتي والجمع.
- واختلف الاصطلاحيون في تعريف فاختبر التعريف الذي يقول: "تابع المفردات والجمل والتراكيب القرآنية المتراقبة لأداء المعنى".
- لدلالة السياق القرآني الأهمية البالغة في تفسير كلامه سبحانه، فإذا ما أهملت فإن الزلل والخطأ واقعٌ لا محالة.
- كل تفسير أهملت فيه دلالاتُ الألفاظ، أو يأبه السياق فهو باطل.

5- المعاني الكلية: هو ما يرد في القرآن الكريم من ألفاظ يغلب استعمالها على معنى واحد، وهو ما يسميه بعض العلماء به.

6- ضررنا مثلاً لأهمية السياق في تفسير المعنى لفريدة (ق ض ئ) حيث اختلفت معانيها في الآيات القرآنية واستحضرنا منها خمسة عشر معنى.

المصادر:

1. أحكام القرآن، لابن العربي- أبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعاوري (ت: 543 هـ) دار الفكر، بيروت، 1408 هـ/1988 م.
2. أساس البلاغة، للزمخري- أبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الرمخري حار الله (ت: 538 هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1419 هـ / 1998 م.
3. أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، للشنتيفطي، محمد الأمين بن محمد المحتر بن عبد القادر (ت سنة 1393 هـ) عالم المعرفة، بيروت ط 2، 1403 هـ/1983 م.
4. بحر العلوم، للسمرقندى- أبي الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى (ت: 373 هـ) دار الكتب العلمية، بيروت.
5. البحار الحجيت، للأبنالسي- أبي جيان محمد بن يوسف (ت 754 هـ)، مراجعة حنفي محمد جمبل، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1412 هـ / 1992 م.
6. البرهان في علوم القرآن، للزركشي- بدرا الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط 1، 1376 هـ - 1957 م.
7. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي- أبي الفيض محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: 1205 هـ/1790 م) دار المداية، دمشق.
8. التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لابن عاشور- محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: 1393 هـ) الدار التونسية للنشر، تونس، 1404 هـ/1984 م.
9. التفسير البسيط، للواحدى- أبي الحسن علي بن أبي الوادى، النيسابورى، الشافعى (ت: 468 هـ)، تحقيق ونشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط 1، 1430 هـ/2010 م.
10. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير- أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (ت: 774 هـ) دار الفكر، بيروت، 1401 هـ/1981 م.
11. جامع البيان في تأويل القرآن، للطبرى- أبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت: 310 هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1420 هـ/2000 م.
12. الجامع الصحيح، للترمذى- أبي عيسى محمد بن عيسى (ت: 279 هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار إحياء الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1418 هـ/1998 م.
13. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي- أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الحليم البردونى، دار الشعب، القاهرة، ط 1372 هـ/1952 م.
14. الرسالة، للشافعى- أبي عبدالله محمد بن إدريس(ت: 304 هـ) تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، القاهرة، ط 1، 1358 هـ/1940 م.
15. الزاهى في معاني كلمات الناس، لابن الانبارى- محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأباترى (ت: 328 هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الصامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1412 هـ/1992 م.
16. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية- أبي العباس أحمد بن عبد الحليم (ت 728 هـ) دار المنار، الرياض، 1404 هـ/1984 م.
17. فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلانى- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر (ت: 852 هـ) تحقيق: محب الدين الخطيب، محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379 هـ/1959 م.
18. فصول في أصول التفسير، د. مساعد الطيار، دار ابن الجوزى، الدمام، ط 3، 1420 هـ/1999 م.
19. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للتلعلى- أحمد بن محمد بن إبراهيم، أبي إسحاق (ت: 427 هـ) تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتفقيق: الأستاذ نظير الساعدى، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ط 1، 1422 هـ / 2002 م.
20. لسان العرب، لابن مظفر-أبي الفضل محمد بن مكرم المصري (ت: 711 هـ) دار صادر، بيروت، ط 1، 1410 هـ / 1990 م.

21. المخصوص، ابن سيده -المؤلف: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (النوف: 458 هـ) تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1417 هـ/ 1996 م.
22. مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير، للرازي - فخر الدين بن ضياء الدين عمر إمام الري (ت: 604 هـ) قدم له الشيخ خليل الميس، دار الفكر، بيروت، 1415 هـ/ 1995 م.
23. مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية- أبي العباس أحمد بن عبد الحليم(ت: 728 هـ)، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، بيروت، ط 3، 1399 هـ/ 1979 م.
24. معالم الترتيل، للبغوي -أبي محمد الحسين بن مسعود الفراء (ت 516 هـ) تحقيق: حالف العك، مروان سوار، دار المعرفة /بيروت، ط 2 1407 هـ/ 1987 م.
25. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج- أبي إسحق إبراهيم بن السري (ت: 311 هـ) تحقيق: عبد الحليل عبده شلبي، دار الحديث، القاهرة، ط 2، 1417 هـ/ 1997 م.
26. المعجم الكبير، للطبراني- سليمان بن أحمد بن أبيوبن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360 هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة.
27. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس- أبي الحسين أحمد بن فارس بن ذكريا (ت: 395 هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت، 1399 هـ/ 1979 م.
28. المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء (إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد التجار)، دار الفكر، بيروت 1401 هـ/ 1981 م.
29. نظرية السياق، د. المنفي عبد الفتاح محمود، دار وائل، عمان، ط 1، 2008 م.
30. النكت والعيون، للماوردي- أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت: 450 هـ/ 1058 م)، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت.
31. النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجوزي- مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجوزي ابن الأثير (ت: 606 هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399 هـ/ 1979 م.
32. دلالة السياق القرآني وتأثيرها في التفسير، عبد الحكيم القاسم، رسالة ماجستير مقدمة جامعة حمد بن سعود، الرياض.
33. السياق القرآني وتأثيره في تفسير المدرسة العقلية، سعيد بن محمد الشهري، أطروحة دكتوراه مقدمة جامعة أم القرى.
34. السياق القرآني وتأثيره في التفسير، عبد الرحمن عبدالله سرور ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى، 2008.

المواهش:

- (1) النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الجوزي، 424/2
- (2) المعجم الكبير، للطبراني، 155/22، برقم (414).
- (3) لسان العرب، ابن منظور، مادة (سوق): 10/166.
- (4) ينظر: أساس البلاغة، للمخشري، ص 314. وتأج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، 25/483.
- (5) المعجم الوسيط لمجموعة من العلماء، ص/330.
- (6) دلالة السياق القرآني وتأثيرها في التفسير، عبد الحكيم القاسم، ص/62.
- (7) نظرية السياق، د. المنفي، ص/15.
- (8) السياق القرآني وتأثيره في تفسير المدرسة العقلية، سعيد بن محمد الشهري، أطروحة دكتوراه مقدمة جامعة أم القرى: ص /22.
- (9) السياق القرآني وتأثيره في التفسير، عبد الرحمن عبدالله سرور ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة أم القرى، 1008: ص/71.
- (10) المخصوص، ابن سيده، 2/280.
- (11) مقدمة في أصول التفسير، ابن تيمية، ص/93. والفتاوی الكبرى، ابن تيمية، 13/363.
- (12) الجامع الصحيح، للترمذی، باب تفسیر سورۃ المؤمنون: 5/180، برقم (3175).
- (13) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 9/209. و تفسیر القرآن العظيم، ابن كثير، 4/393.

- (14) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن، للطبرى، 16/142. وبحر العلوم، للسموقة، 2/197.
- (15) ينظر: أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، للشنتيفي، 1/159.
- (16) جامع البيان: 646/19.
- (17) الرسالة، للشافعى، ص/51.
- (18) جامع البيان: 675/7.
- (19) مقدمة في أصول التفسير: ص/79-81.
- (20) جموع الفتاوى: 6/14.
- (21) المصدر نفسه: 6/18.
- (22) تفسير ابن كثير: 7/467.
- (23) معان القرآن وإعرابه، للزجاج: 5/76.
- (24) البحر المحيط، للأتنبى، 2/135.
- (25) بداع المؤائد، لابن القيم، 3/877.
- (26) مقدمة التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، لابن عاشور، 1/39.
- (27) ينظر: فصول في أصول التفسير، 5. مساعد الطيار، ص/123.
- (28) أضواء البيان: 1/18.
- (29) فصول في أصول التفسير: ص/124-125.
- (30) جامع البيان: 1/730.
- (31) المصدر نفسه: 1/625.
- (32) فتح الباري شرح صحيح البخاري، العسقلان، 8/158.
- (33) البرهان في علوم القرآن، للزركشى، 1/105.
- (34) ينظر: الزاهر في معانى كلمات الناس، لابن البارى، 1/486. والنكت والعيون، للماوردي، 3/415.
- (35) التفسير البسيط، للواحدى، 3/268.
- (36) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، 5/99.
- (37) تفسير الماوردي: 3/415. وفتاوى الغيب المسمى التفسير الكبير، للرازي، 22/78.
- (38) التفسير البسيط: 3/268. وتفسير الرازى: 20/321.
- (39) ينظر: أحكام القرآن، لابن العربي، 3/184.
- (40) تفسير الماوردي: 3/237.
- (41) معالم الترتيل، للبغوى، 3/126.
- (42) التفسير البسيط: 3/268.
- (43) التفسير البسيط: 3/268.
- (44) التفسير البسيط: 3/268.
- (45) ينظر: التفسير البسيط: 7/232. وتفسير الغوري: 5/93، والكشف والبيان عن تفسير القرآن، للتعليق، 9/316.
- (46) تفسير الماوردى: 6/10، وهو قول ابن عباس. ينظر: التفسير البسيط: 21/458.
- (47) التفسير البسيط: 4/485.
- (48) ينظر: تفسير التعلى: 7/241. وتفسير الماوردى: 4/240. والتفسير البسيط: 17/356.
- (49) التفسير البسيط: 12/449. وتفسير الرازى: 19/84.